مليوناً من الجنيهات فنقطر ان لويهم يجنس من الاموال التي نربحها من الانكليز . وهذه الحقيقة الباهرة لم يلتفت اليها حد

وقد يقول قائل ان الانكليز لا يشترون حاصلاتنا كرماً لسواد عيوننا بل لانهم محتاجون اليها ولكل هذا شأن كل من يشتري من تاجر فانه لا يشتري البضاعة منهُ اكراماً لهُ بل لانهُ يحتاج اليها ومع ذلك ترى التاجر يكرم زبائنهُ الذين يشترون منهُ ويتودَّد اليهم جهدهُ وترى المحترمين يصانع بلادهم من ساسة اوربا واميركا يبذلون كل مرتخص وغالٍ لاصطناع الامم التي تشتري بضائعهم . وعندهم ان النجاح في سياستهم يقوم بتوسيع الاسواق التي تروج بضائعهم فيها واذا ذهب تاجر من هذا القطر الى مدينة من مدن اوربا ولقيهُ صاحب المعمل او المحل التجاري الذي يستورد منهُ بضائعهُ اكرم صاحب المعمل او المحل التجاري وفادتهُ كأنهُ من اعز اصدقائهِ لانهُ يشتري بضاعتهُ منهُ

الطوب الاخضر والطوب الاحمر

الطوب على اطلاقهِ او الطوب الاخضر كلمة مصريَّة لَبِن . والطوب الاحمر اللبن المشوي او الاجرّ وكل ذلك معروف لا يحتاج الى تعريف

وقفنا بالامس في خرائب طيبة امام قصر وجعل الدليل ينزع امامنا الطوب الاخضر من مباني رعمسيس الثاني فلا يستطيع نزع الطوبة منهُ الاَّ بعد العناء الشديد واسم ذلك الملك العظيم على كل طوبة منهُ والطوب لا يزال سليماً مع انهُ قد مرَّ عليهِ الآن اكثر من ثلاثة الآف وستي سنة وسيبقى سليماً ابد الدهران لم تنزعهُ يد الانسان وتتلفهُ وهو اصلب من كل طوب وأبناهُ حتى الآن ما عدا الطوب الذي بني بهِ هرما دهشور فانهُ ليس دون طوب رعمسيس متانة وان كان قد صنع قبلهُ باكثر من الف سنة

ثم وقفنا قُبَيل كتابة هذه السطور امام بيت كبير بني منذ نحو عشر سنوات جُعل اسفلهُ من الطوب الاحمر وفوقهُ طوب اخضر وقد بلي طوبهُ الاخضر مما بلي الطوب الاحمر وعاد تراباً وبلي منهُ بعض الطوب الاحمر ايضاً . فما صنعهُ الاقدمون منذ اكثر من اربعة آلاف سنة بقي سليماً الى الآن وسيبقى سليماً قروناً كثيرة وما صنعهُ المحدثون لم يسلم عشر سنوات

والظاهر ان الناس صنعوا الطوب اولاً في بابل منذ اكثر من عشرة آلاف سنة فان البلاد بين النهرين خالية من الحجارة وكان سكانها يبنون بيوتهم من القصب ثم بنوها من

الطين وعملوا بالاختبار انهم اذا مزجوا الطين بالتبن وجبلوهُ جيدًا وافرغوهُ في القوالب وجففوهُ في الشمس زاد جسمهُ متانةً وشكلهُ رونقًا

وقد وجد الطوب في اسفل خرائب بعضها من مدن البابليين القديمة وهو قطع غير منتظمة الشكل وفوق ذلك قطع منتظمة الشكل ذات الزوايا كالطوب الذي يصنع الآن وطوب المصريين القدماء

ولا يعلم من اكتشف حرق الطوب اولاً ولكن لا بعد ان يكون الناس انتبهوا الى صلابة الطوب الذي يكون في البيوت المحروقة او يكون اتاني للتدور فاستدلوا من ذلك على ان الحرق او الشيّ يصلّب الطوب جدًا فصاروا يشوونهُ واتصلوا من ذلك الى عمل الخزف

قال الاستاذ ادجر بنكس مدير لجنة النقب في آثار بابل من قبل مدرسة شيكاغو الجامعة أن اول مَن اكتشف حرق الطوب سكان بابل منذ اكثر من ستة آلاف واربع مئة سنة وكان طوبهم غير منتظم الشكل كأنهُ قطعة من الطين تُركت على الارض حتى انبسط اسفلها واستدار اعلاها. وكان الطوب القديم صغير الحجم طول الطوبة منهُ نحو ٣٠ سنتيمترًا وسمكها نحو ٥ سنتمترات ثم أتقن رويدًا رويدًا وكُبّر جسمهُ حتى صار طول الطوبة منهُ نحو اربعين سنتيمترًا

وكان البابليون يطبعون الطوب بطابع فيهِ اسم صانعهِ او اسم الملك الذي صنع لاجلهِ ابتدأوا بطبع ابهام الصانع وتدرجوا الى رسم خط مستقيم على طول الطوبة ثم الى خط مائل من زاوية الى زاوية ثم الى خطين متقاطعين وهلمَّ جرًّا

وسنة ٣٨٠٠ قبل المسيح غزا الساميون بابل وجعل الملك سرجون شكل الطوب مربعًا وجعل صانعيهِ يطبعون اسمهُ عليهِ وكان طوبهُ كبيرًا طول الطوبة منهُ ٤٢ سنتمترًا وعرضها ٩ سنتيمترات فصغّرها ابنهُ نرام سن وجعل طولها ٣٣ سنتمترًا وبعد الف سنة جُعل طولها ٣٠ سنتيمترًا فقط وبقيت كذلك الى آخر مملكة بابل

وكانت الكتابة على الطوب اولاً مختصرة ثم زيدت اسهابًا فطوب الملك نرام سن كان يكتب عليهِ " نرام سن بانى هيكل عشتار " . ثم جعل الملوك يزيدون الكتابة وقد وجد الاستاذ بنكس طوبًا على الطوبة منهُ تسعة اسطر من الكتابة . واكتفى نبوخذنصر بان طبع على طوبهِ " نبوخذنصر ملك بابل مجدّد هياكل ساجيل وازبدا بكر نبيو ولامّر ملك بابل "

ثم وجد الباحثون ان الطوب المربّع لا يفي بغايتهم عند الزاوية اي عند نهاية السافوانهم يضطرون حينئذٍ ان يكسروا الطوبة التي نصفين فصاروا يصنعون طوبًا الطوبة منهُ مثل نصف

الطوبة المربعة اي ضوفا مضاعف عرضها ومن ثم شاع هذا الشكل في عمل الطوب ولم يزل شائعاً الى عصرنا هذا. وتفنن البابليون ايضاً في زخرفة الزوايا والشرفات والاطناف في مبانيهم فصنعوا لها الطوب المستدير والمحدَّد والمخروش وكانوا يلصقونها بعضها ببعض بالحُمر او بالطين او بالكلس وشاع استعمال الكلس عندهم قبل ايام نبوخذنصَّر وكانوا يأتون به من حدود بلاد العرب. وطوبهم اي المشوي منهُ اتقن من الطوب المشوي الذي يصنع الآن في اوربا واميركا. قال الاستاذ بنكس انهُ وجد في بسحيا طوباً صُنع قبل المسيح باربعة آلاف وخمس مئة سنة وهو لا يزال سليماً كأنهُ صنع امس فبقي منهُ البيت الذي اقام فيهِ هناك وسيبقى سليماً بعد ان يتلف الطوب المشوي الذي يصنع في اميركا الآن

ثم اكتشف البابليون كيفية دهن الطوب بدهان زجاجي مختلف الالوان وصاروا يرسمون فيهِ صور الحيوانات وقد تكون صورة الحيوان مؤلفة من طوبات كثيرة في كل منها جزء صغير منهُ ومع ذلك تأتي صورتهُ من مجموعها محكمة طبق المرام

ولم يقتصر البابليون على عمل الطوب وشيهِ لكي يبنوا بهِ بيوتهم وهياكلهم بل استخدموهُ بدل القرطاس لكتابة كتبهم ورسائلهم فقد كانوا ينقشون كتاباتهم على صفائح الحجارة فلما صنعوا الطوب وشووهُ ووجدوا انهُ يبقى ازماناً طويلة من غير ان يبلى او يتلف ورأوا ان نقش الكتابة فيهِ اسهل من نقشها في الحجر استخدموهُ للكتابة بدل الحجر. وكأنهم كانوا القائلين كل علم ليس سببهُ القرطاس ضاع فكانوا يكتبون بهِ كل شيء العقود والصكوك والسفاتج ورسائل التجار ودفاتر الحياة والعلوم والفنون والتواريخ. وقد وجدت مكاتب كبيرة من الطوب المكتوب. ومن اغرب ما فيها دفاتر جباة الاموال فانهم كانوا يكتبون فيها الاموال التي جبوها والجهات التي انفقوها فيها ودفاتر التجار وطرق المعاملات. من ذلك طوبة يقال فيها ان رجلاً استعار ثوراً من جاره واشترط صاحبهُ على مستعيرهِ ان يردهُ اليهِ سليماً وقت معين لكي يحرث ارضهُ بهِ لكن اتفق ان وقع الثور وكسر رجلهُ فاضطرَّ المستعير ان يعطي صاحب الثور قيمة غلَّة الارض التي خسرها بسبب كسر رجل الثور

وبعض الطوب صكوك ولصك منها غلاف من الطوب يغلَّف بهِ ويختم بخاتم من كتب الصك عليهِ فلا يستطيع صاحبهُ ان يزورهُ وفي الاجل المعين يفتض الختم وينتزع الغلاف ويقرأ الصك